المحاضرة: الثامنة (8)

أركان الإيمان

مقدمة:

الإيمان هو أساس الدين الإسلامي، وهو الركن الأول الذي يقوم عليه بنيان الإسلام كله، إنه ليس مجرد كلمة تُنطق أو اعتقاد يُخفى في القلب، بل هو عقيدة تجمع بين القول والعمل والاعتقاد، يؤثر في حياة الفرد والمجتمع تأثيراً عميقاً.

تعريف الإيمان:

الإيمان لغة: مصدر من آمن يؤمن إيمانًا، فهو مؤمن، وهو مشتق من الأمن. قال الجوهري: "الإيمان: التصديق، والله -تعالى- المؤمن، لأنه أمّن عباده من أن يظلمهم، وأصل آمن: أأمن بهمزتين لينت الثانية .. والأمن ضدّ الخوف"[19]. وقال ابن منظور: "الإيمان ضدّ الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضدّه التكذيب، يقال :آمن به قوم وكذَّب به قوم[20]". وقال الراغب الأصفهاني: "آمن إنما يقال على وجهين: أحدهما :متعدّيًا بنفسه، يقال :آمنته، أي جعلت له الأمن ومنه قيل لله مؤمن. والثاني: غير متعدٍّ، ومعناه صار ذا أمن. وقوله تعالى: ((وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)) [يوسف:17] قيل: معناه بمصدق لنا، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن))[21]. وقال الفيروز أبادي: "الإيمان الثقة، وإظهار الخضوع"[22].

وخلاصة ما سبق أن الإيمان في اللغة معناه التصديق الذي معه أمن، وليس مجرّد التصديق يقول ابن تيمية: "الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر .. فاللفظ متضمّن مع التصديق معنى الائتمان أو الأمانة، كما يدلّ عليه الاشتقاق والاستعمال، ولهذا قالوا: ((وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا)) [يوسف: 17]، "أي لا تقرّ بخبرنا ولا تثق به، ولا تطمئن إليه ولو كنّا صادقين، لأنهم لم يكونوا عنده ممّن يؤتمن على ذلك، فلو صدقوا لم يأمن لهم"[23].

---

[19] - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ص2071.
[20] - لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص21.
[21] - مفردات القرآن، الراغب الاصفهاني، ص26.
[22] - القاموس المحيط، الفيروزأبادي، ص1518.
[23] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج7، ص291.

أما اصطلاحاً في الشرع الإسلامي، فالإيمان هو: قول باللسان، وتصديق بالجنان (القلب)، وعمل بالأركان (الجوارح). قال الله تعالى: ((الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) [البقرة: 3]. وقال الإمام أحمد بن حنبل: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص". وهذا التعريف يجمع بين الاعتقاد الباطني والعمل الظاهري، فلا يكفي التصديق القلبي دون عمل، ولا العمل دون تصديق؛ والإيمان ديناميكي يتطور مع العمل الصالح.

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان، وعمل بالأركان. قال ابن رجب: "المشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلّها داخلة في مسمّى الإيمان"[24]، وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارًا شديدًا؛ وقال الثوري: "هو رأي محدث أدركنا السلف على غيره"[25]، وقال الأوزاعي: "وكان من مضى من السلف لا يفرّقون بين العمل والإيمان". وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار:" أمّا بعد، فإن الإيمان فرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان"[26].

والحقيقة: إن من أخرج الأعمال عن الإيمان إنما استند على الحديث المشهور: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"[27]. واعتقد أن الإيمان مجرد اعتقاد، مجرد من العمل، ولعل هذا هو المفهوم الذي كان سائدا في بداية الدعوة، ففي العهد المكي لم يكن التركيز سوى على الإيمان بالمفهوم العقدي، فلما ترسخ وهاجر النبي وصحابته للمدينة بدأ تنزل عقائد الإسلام المعروفة. قال -ﷺ-: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

أركان الإيمان:

1 - أن تؤمن بالله: (بوجوده ووحدانيته في الصفات والعبادة وأنه فوق العرش).

2 - وملائكته: (مخلوقات من النور لتنفيذ أوامر الله).

3 - وكتبه: (التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وهو أفضلها).

4 - ورسله: (أولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم).

---

[24] - رسالة في الإيمان والكفر، ابن رجب الحنبلي، ج6، ص1.
[25] - الإبانة الكبرى، ابن بطة، ج2، ص903.
[26] - صحيح البخاري، البخاري، ج1، ص8.
[27] - رواه مسلم.

5 - واليوم الآخر: (يوم الحساب لمحاسبة الناس على أعمالهم).
6 - وتؤمن بالقدر خيره وشره. (الرضاء بالقدر خيره وشره، لأنه بتقدير الله مع الأخذ بالأسباب).

الفرق بين الإيمان والإسلام:

أما الإيمان فقد سبق تعريفه، وأما والاسلام هُوَ التَّسْلِيم والانقياد لأوامر الله –تعالى- فَمن طَرِيق اللُّغَة هناك فرق بَين الْإِسْلَام وَالْإِيمَان وَلَكِن لَا يكون إِيمَان بِلَا إسلام وَلَا يُوجد إِسْلَام بِلَا إِيمَان. ولكنّ الأدلة في *القرآن الكريم* التي تدل على أن هناك فرقًا بين الإسلام والإيمان بدليل: قوله تعالى: ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)) [الحجرات: 14]. وقوله تعالى: ((فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) [الذاريات: 35 - 36]. - *قوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب: 35].*

وأما السنّة: "فيقولون في قول النبي -ﷺ-: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام. ودوروا للإسلام دارة (يعني دائرة)، ودوروا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها، وقالوا: إذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلى الكفر"؛ والإحسان كذلك عبارة عن دائرة أصغر من دائرة الإيمان تقع في جوفها أيضًا، فكل محسن مؤمن، وليس كل مؤمن محسنًا.

والأقوال في الفرق بين الإسلام والإيمان أربعة: الأول: أن الإسلام هو الإيمان، والثاني: أن الإسلام هو الكلمة، والإيمان العمل، والثالث: أن الإيمان خصلة من خصال الإسلام، والقول الرابع: أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فإذا ذكر الإسلام مفردًا دخل فيه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان مفردًا دخل فيه الإسلام؛ وأما إذا اجتمعا، فالإسلام يعني الأعمال الظاهرة (كالشهادتين، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)؛ والإيمان يعني الاعتقادات الباطنة (كالإيمان بالأركان الستة).

وهذا القول هو الراجح الذي تؤيده الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنّة، وهو ما عليه جمهور السلف الصالح رضوان الله عليهم. "فلا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه ولا يخلو المسلم من إيمان يصح به إسلامه"؛ كما جاء في العقيدة الطحاوية.

أهمية الإيمان:

إذا استقر الإيمان في القلب، فإنه يُحدث تغييراً جذرياً إيجابياً في حياة الفرد والمجتمع؛ ومن ذلك:

أثر الإيمان على الفرد:

1. **السكينة والطمأنينة والحياة الطيبة** :يمنح الإيمان راحة نفسية وسعادة داخلية، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: 97). كما يطمئن القلب بذكر الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28).
2. **مراقبة الله والابتعاد عن المعاصي** :يدفع الإيمان إلى التقوى والخوف من الله، فيبتعد المؤمن عن الذنوب سراً وعلانية، ويحافظ على طهارة النفس والعفة.
3. **العزة والكرامة والثبات** :يعطي الإيمان عزة نفس، وثباتاً أمام الفتن والمحن، ويجعل المؤمن يرضى بقضاء الله ويتوكل عليه.
4. **التصديق واليقين** :يدفع إلى التصديق الكامل بما جاء في الكتاب والسنة، حتى لو خالف العقل الظاهري، كما في قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الإسراء والمعراج.
5. **زيادة الهداية والتوفيق** :كلما قوي الإيمان، زاد التوفيق من الله والرغبة في الطاعات والرهبة من المعاصي.

أثر الإيمان على المجتمع:

1. **التكافل والتراحم** :يحقق الإيمان تعاوناً اجتماعياً، حيث يشعر المؤمنون بأنهم كالجسد الواحد، فيساعدون الفقراء والمحتاجين، وينفقون في سبيل الله.
2. **الأمن والاستقرار** :يؤدي إلى مجتمع آمن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]. فالمؤمن يحافظ على أمن الوطن والجيران، ويبتعد عن الكذب والاعتداء.
3. **العدل والأخلاق الفاضلة** :يبني مجتمعاً يسوده الحق والعدل، ويقل فيه الظلم والفساد، لأن الإيمان يربي على الصدق والأمانة والعفة.
4. **الوحدة والأخوة** :يجمع المسلمين على الولاء لله ورسوله، ويبني أمة موحدة قوية، كما تحول الإسلام الجاهلية إلى حضارة عادلة في وقت قصير.

في الختام، الإيمان هو أساس الصلاح للفرد والمجتمع، وهو سبب الفلاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: 55].